بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ لله نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل لهُ ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبدُهُ ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[[1]](#footnote-1)**

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾**[[2]](#footnote-2)**

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾**[[3]](#footnote-3)**

أمَّا بَعْد:

فَإنَّ أصْدَقَ الحَدِيثِ كتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الهَدْيهَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّم، وَشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّار.

فما زلت معكم في التعليق على كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب-ؒ-وأجزل له الأجر والثواب-المتوفي سنة 1206هـ.

انتهينا في الدرس الماضي من باب الثالث وهو باب الخوف من الشرك.

قال:-ؒتعالى: " باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله" -أو باب الدعوة- أي أن الواجب على المسلم الذي عرف التوحيد وأنجاه الله-- من الشرك أن يحب للناس ما يحبه لنفسه وأن يحب ما وفقه الله للتوحيد للناس، والمسلم يدعوا إلى التوحيد من باب شكر نعمة الله--وهو يدعوا إلى التوحيد أما بقوله وأما بعمله؛ أما بعمله وذلك بتطبيق التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، ويدعوا إليه بقوله ببيان هذه الدعوة وبيان ما يناقضها، وهي أول ما يجب على الإنسان الداعية أن يدعوا إلى التوحيد، قبل الدعوة إلى الصلاة أو الصوم أو إلى بقية أركان الإسلام أو إلى الأخلاق، فإن أول ما أمر الله- - به رسوله الكريم أن يدعوا الناس إليه هو التوحيد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وتكبير الله هو أول تكبير له أن يوحد وأن لا يشرك به، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود بثيابك فطهر؛ طهر نفسك من الشرك، وذهب بعض العلماء وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ أي ثيابك طهرها من النجاسة، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ يعني- الباطل فابتعد عنه وأعظم ذلك الشرك أي ابتعد عنه والدعوة إلى شهادة أن "لا إله إلا الله"، البدائية بها هي فعل الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام جميعاً- كلهم قالوا: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ومكث الرسول-- في مكة ثلات سنين يدعوا الناس إلى التوحيد سرّاً، ثم أُمر بالدعوة جهراً، والرسول-- لما بعث معاذاً إلى اليمن أمره أن يبدأ دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد، فالدعوة إلى التوحيد مهمة جداً سواء أكان المسلم يعيش في بلاد المسلمين أو في بلاد الكافرين، ويتأكد ذلك إن كان يعيش في بلاد الكفار، لأن غربة المسلم في بلاد الكفار غربة ظاهرة، فلابد أن تدعوا إلى التوحيد ويدخل الناس في الإسلام، فالله هو الذي خلقنا ورزقنا ويحيينا ويميتنا، وهو المستحق وحده للعبادة دون ما سواه، وأهل الكتاب أولى الناس أن يؤمروا بذلك لأن كتبهم مشتملة على الدعوة إلى التوحيد مع تحريفها وتبديلها، فلو كانوا صادقين في اتباع كتابهم لوحدوا الله وتركوا الشرك، والنصارى أقرب إلى الإستجابة من اليهود، لذلك اجتهدوا إلى دعوتهم إلى التوحيد، لأنه إذا وحدوا الله انتقضوا دينهم الذي مبني على التفليس، والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، المهم أن يبْدل الأسباب لإدخال الناس إلى الإسلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

قال-ؒتعالى- وقوله تعالى: قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ الآية وهذا أمر من الله إلى نبيه-- أن يبين لأمّته دعوته، والمراد بأمّتي هنا أمة الدعوة لا أمّة الإجابة فقط، فهذه الصورة صورة يوسف سورة مكية، فالله-- يخاطب نبيه بأن يخاطب الناس جميعا بأن هذه سبيله وهي الدعوة إلى التوحيد، وليست هي سبيله فقط بل سبيل من اتبعه، وهذا يؤكد أن أمته مخاطبون بما هو مخاطب به -- لذلك قال قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي أَدْعُو إِلَى اللّهِيعني-إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، فلا أدعوا إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شيخ مبجل، وما قال أدعوا إلى ربي، وإنما قال إلى الله، دلالة على توحيد الألوهية وأنها هي دعوة الرسل-عليهم الصلاة والسلام-لأن بعض الناس يؤمنون بالربوبية وأنه الخالق والرازق لكن يشركون مع الله آلهة أخرى.

لذلك تركزت دعوة الرسل على توحيد الإلوهية والرسول-- يدعوا إلى الله على بصيرة ونور من الله، فهو على بصيرة يعني-على علم وهدى، وليس على جهل ودعوته على بصيرة هو وأتباعه، فأهمية العلم وطلب العلم في هذه الآية ظاهرٌ، لذلك ينبغي على السلفي أن يكون حريصا على طلب العلم، ولا يكون جاهلا لا يعرف حقيقة التوحيد وحقيقة ما يدعوا إليه، قال تعالى: وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ففي هذا إعلان على بتوحيد الإلوهية في قوله أَدْعُو إِلَى اللّهِ وإعلان البراءة من ضد التوحيد وهو الشرك وفي هذا تزكية من الله-- لنبيه محمد-- وللصحابة الكرام أنهم على بصيرة وهذا الواجب على جميع من يتبع محمد--أن يكون على بصيرة، فإن من يتبعه عن جهل فإنما يتبعه على جهل يوشك أن يقع في البدع والمحرمات، فسبيل أهل الإسلام الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك.

ثم قال-ؒ- عن ابن عباس-¶-، أن رسول الله-- لما بعث معاذاً إلى اليمن ومعاذ--هذا من خيرة الأنصار وكان شابا ذكيا لامعاً، ففي حديث أنس-- " أن أعلم الأمّة بالحلال والحرام معاذ بن جبل-- وقال-- "إن معاذا يأتي يوم القيامة يسبق العلماء برتوة"-يعني- برمية حجر- ووصفه الرسول-- بهذه الأوصاف وهو ابن عشرين سنة أو دونها، فقد يوفق الله بعض الشباب إلى العلم الغزير الذي ينافسون به العلماء، هذا الإمام الشافعي أصبح عالما وعمره ثمانية عشر عام وكذلك الإمام مالك والإمام البخاري وكثير من العلماء بلغوا رتبة العلماء الكبار وعمرهم دون العشرين، وهذا أسامة بن زيد يقود الجيش الذي فيه أبو بكر وعمر--، فصغر السن ليس دوما مذموما، المهم أن يكون طالب علم فهم ودرس وتعلم، لكن كلما كبر العالم في العمر مع العلم ازداد معرفة وتجربة وحكمة، فللعلماء الكبار في السن مزية على الشباب.

والرسول-- بعث معاذا اميراً ومعلماً إلى اليمن، وبعث معه أبا موسى الأشعري-- وأوصاهما جميعا بقوله يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا فالرسول-- في هذا الحديث يوصي معاذا-- بوصايا فقال له:" إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب" فاخبره بنوعية القوم وما يعبدون حتى يكون مستعدا لدعوتهم، " فليكن أول ما تدعوهم إليهشهادة أن لا إله إلا الله " مع أن اليهود والنصارى يقولون "لا إله إلا الله" لكنهم يشركون مع الله، فاليهود يقولون عزير ابن الله، وقد عبدوا الثور العجل وقالو لموسى-♠- اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فوقع منهم الشرك، وأما النصارى فمع قولهم"لا إله إلا الله" يعتقدون أن هذا إلاله ثلاتة، فــــلا تكفي لفظة"لا إله إلا الله" حتى تكون على المعنى الصحيح، فلذلك الإنسان لا يقول نحن مسلمون ولا يحتاجون إلى دعوة إلى التوحيد، لأن هذه سبيل الرسول-- وطريقة أصحابه، فالرسول-- كان يدعوا الصحابة إلى التوحيد وهم مسلمون؛ ليثبته في قلوبهم والتأكيد على هذا التوحيد، لبيان أهميته وعظيم منزلته، فلذلك لابد أن ندعوا المسلمين إلى التوحيد، لاسيما مع وجود الشرك في كثير منهم و أنصراف كثير من الفرق والجماعات الحزبية والبدعية عن الدعوة إلى التوحيد، بل بعض الجماعات يقولون لا ندعو إلى التوحيد، يقولون إنه يفرق، وهذا جهل وضلال، فلابد من البعد عن هذه الفرق ودعوتهم إلى التوحيد ونصحهم بهذا المسلك الدعوي،كذلك جماعة الإخوان المسلمين، هؤلاء جماعة بدعية أيضا لا يدعون إلى التوحيد وإنما يضمون معهم بعض المشركين ما الفائدة من أن يقول"لا إله إلا الله" وهو يشرك مع الله آلهة أخرى ؟ والإنسان يكون مسلما لينجوا من النار، ويكون من أهل الجنة، فإذا دخل مع هذه الفرق التبليغ والإخوان وغيرها؛ فإنه يكون من أهل النار، أو أسامة بن لأدن وتنظيم القاعدة أو أنور العـولقي وغيرهم كلهم أهل ضلال والذي يتبعهم يوشك أن يكون من أهل النار فلابد من الدعوة إلى التوحيد ندعو أنفسنا إلى التوحيد، والمسلمين واليهود والنصارى وجميع المشركين؛ لنخرجهم من الظلمات إلى النور ولنثبت أنفسنا على التوحيد، ونثبت المؤمنين على التوحيد.

وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله " يعني- أول ما يدعوا معاذٌ أهل الكتاب إلى توحيد الله قبل الصلاة وقبل الصوم وقبل الأخلاق، قال-- :" فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم بالصلاة" أولاً التوحيد صلاة مع شرك غير معقولة،التوحيد مثل الطهارة، هل الصلاة تصح بدون طهارة ؟ لا تصح الصلاة، والتوحيد طهارة للقلب والشرك نجاسة القلب فلا بد من الطهارة هذه الطهارة شرط لقبول جميع العمل، " فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة" لابد خمس صلوات، لاتكفي صلاة واحدة، لابد أن يؤمن بأن الله فرض خمس صلوات، وقد ورد في حديث عن عثمان بن أبي العاص--"أن ثقيفا جاءوا إلى الرسول-- ليسلموا فوافقوا على إسلام وأسلموا، ثم أمرهم- - بالصلاة، فقالوا يا رسول لا نريد الصلاة، نعطيك الزكاة لكن الصلاة لا"، فيها تعب "فقال-- دين لا ركوع فيه لا خير فيه"، فلم يقبل إسلامهم إلا أن يصلوا، لكن" جاءه رجل وطلب من الرسول-- أن يصلي صلاتين، فالنبي-- بالوحي الذي أوحي له علِم أن هذا سيصلي خمس صلوات فقبل إسلامه وبعد أيام أحس الرجل بلذة الصلاة فصلى خمس صلوات" عموماً الأصل أن ندعو الناس إلى خمس صلوات.

ثم قال-- " فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم" صدقة يعني- الزكاة- يعني- أن الرسول-- لا يريد الزكاة له بل يريدها لهم،" تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم" فمثلا هنا في البهاما يوجد مسلمون يريدون أن يزكوا أموالهم، فترد هذه الزكاة على الفقراء في البهاما المسلمين لا تنقل إلى تريتيداد في أمريكا، بل يعطى فقراء البلد، إلا إذا كان فيها مسلم جاء من ترينيداد ويريد أن يرسل لأهله في ترينيداد لاباس، يجوز أن يعطيها للمسلمين في البهاما أو للمسلمين في بلده، فإذا كان لا يوجد في البهاما فقراء لهم أن ينقلها إلى بلد آخر به فقراء.

قال: " فإن هم أطاعوك لذلك"يعني-أدّوا الزكاة بعد أن وحدوا الله وصلوا وأدّوا الزكاة " فإن هم أطاعوك لذلك " بأداء الزكاة " فإياك وكرائم أموالهم " يعني- لا تخد من الاموال الكريمة عليهم خذ من أوسيطها، يعني- لا التعبانة ولا النفيسة، الوســـــــط، ثم نبّه النبي- - إلى أمر مهم وهو خطر الظلم، لأن معاذ بعث أميرا على اليمن، والأمير مسئول يجب عليه أن يعدل في رعيته وأن لا يستغل سلطته في ظلم الناس، وأكل حقوقهم فالإمارة مسئولية.

قال-- " واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" أي أنه اجعل بينك وبين دعوة المظلوم وقاية، فإن دعوة المظلوم ترفع إلى الله-- وينصره الله وتستجاب دعوته ولو كان كافرا، فليحذر المسلم من الظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة، والله--حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما فلا تظالموا، وهذا الحديث حديث معاذ أخرجه البخاري ومسلم.

وبهذا القدر أكتفي وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

1. - آل عمران : 102 [↑](#footnote-ref-1)
2. - النساء : 1 [↑](#footnote-ref-2)
3. - الأحزاب : ( 70 – 71 ) [↑](#footnote-ref-3)